

(٤٣) خطبة له ﷺ في ضرورة الأخذ بكتاب الله، والتذكير بأهل بيته رضوان الله عليهم، والتعريف بهم

عن يزيد بن حيان، قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه ، فلما جلسنا إليه قال حصين :
لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ . وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ ..

قال : يا بن أخي ، والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعمى من رسول الله ﷺ ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا : فلا تكلفوني، ثم قال :

قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى «خما» بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعد وذكّر، ثم قال :

«أما بعد ، ألا أيها الناس ... فإنما أنا بشرٌ يوشكُ أن يأتي رسولُ ربّي فأجيبُ، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتابُ الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتابِ الله واستمسكوا به». فحثّ على كتاب الله ورعّب فيه، ثم قال :

«وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل

بيتي» .

فقال حصين : وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ ، أَلَيْسَ نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ؟ .
قال : نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرْمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَهُ . قال :
وَمَنْ هُمْ ؟ . قال : هُمْ آلُ عَلِيٍّ ، وآلُ عَقِيلٍ ، وآلُ جَعْفَرٍ ، وآلُ عَبَّاسٍ .
قال : كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرْمِ الصَّدَقَةِ ؟ . قال : نَعَمْ .

(رواه مسلم)

وفى رواية : «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ وَهُوَ
حَبْلُ اللَّهِ ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، وَمَنْ تَرَكَّهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ» .
فى هذه الخطبة - كما قرأنا - يخبر الرسول ﷺ أصحابه بأنه يوشك
أن يلبى نداء ربه وأنه بعد أن يأتيه رسول ربه فيجيبه : سيترك فيهم
ثقلين :

أحدهما: كتاب الله فيه الهدى والنور .

وثانيهما: أهل بيته - صلوات الله وسلامه عليه - وهم : آل عليٍّ ،
وآل عقييل ، وآل جعفر ، وآل عباس - عليهم جميعاً رضوان الله ،
وكذلك نساؤه - عليهن رضوان الله .

والمراد ، هو : العمل بكتاب الله تعالى وتنفيذه فى كل مراحل
حياتنا ، وفى جميع معاملاتنا ، وذلك هو التوفيق المبين .
وأما عن أهل بيته ، فالمراد إكرامهم ومناصرتهم ، فقد ورد فى
الحديث الشريف :

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه - موقوفاً عليه - أنه قال :
«ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» .

(رواه البخارى)

قال فى «رياض الصالحين»: معنى ارقبوه: راعوه ، واحترموه ،
وأكرموه .

وكل هذا لن يكون إلا بالحب الصادق لهم ، بمعنى أن يكون حبنا
لهم حباً إيجابياً ، لا سلبياً ، وهذا يتطلب أن يُهتدى بهم ويُقتدى
بفعالهم ، لأنهم تتلمذوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخرَّجوا فى مدرسته ،
فضلاً عن أنهم من أهل بيته .

أما أن يكون الحب هذا زعماً أو ادعاء ، فإنه لن يكون له صلة برسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أهل بيته ، لأن أهم ما يمتُّ إلى هذه الصلة هو الاقتداء
بهم والتخلُّق بأخلاقهم النبيلة .

فلنلاحظ كل هذا . ولنكن من المتمسكين بكتاب الله ، والمحبين
لأهل بيت رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - بهذا المعنى الذى وقفنا
عليه . . حتى نُحشِرَ معهم ونكون من الذين أكرمهم الله تعالى بحبهم .
وحسبنا إن فعلنا ذلك - إن شاء الله - أننا سنكون من الذين عرفوا قَدْرَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقَدْرَ أهل بيته الغرِّ الميامين رضي الله عنهم أجمعين .

* وعن أبي شريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ :

فقال :

«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله» ؟ . قالوا :

بلى . قال : «إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم؛ فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً» .

- (رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد)

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال :

« الاقتصادُ في السنَّة أحسنُ من الاجتهادِ في البدعة » .

(رواه الحاكم موقوفاً وقال : إسناده صحيح على شرطهما)

اللهم صلِّ على محمد النبي الأمين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ،
وذريته ، وأهل بيته ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم . .
إنك حميد مجيد . . آمين . . آمين . . آمين .
